

عبد المرحوم : حسين بن اسحق

وتمت على غير الله الدواع



هو حنين بن اسحق العبادي، وكنيته أبو زيد، ولد ببغداد، ونشأ بالشام وتعلم بها. ويقول ظهير الدين السيوطي في كتابه (تاريخ حكماء الاسلام): «كان حنين بن اسحق المترجم أول من فسر اللغة اليونانية ونقلها إلى السريانية والعربية. وكان حنين في عهد المأمون والمعتصم، وكان بغدادى المولد، وقد نشأ بالشام وتعلم بها». عاش حنين بن اسحق فيما بين سنتي ١٩٤ - ٢٦٥ هجرية (٨٠٩ - ٨٧٤ ميلادية). كان والده مشهورا ببيع العقاقير الطبية. وسمى العبادي نسبة إلى العبادي، وتعلم اللغة العربية على أشهر عالم في اللغة العربية إخليل بن أحمد القراهيدي^(١). يقول عبد الشعم ماجد في كتابه (تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى):

«ولد حنين بن اسحق في الحيرة ودرس الطب في مدرسة جنديسابور، وانتقل إلى بلاد الروم، وتعلم اللسان اليوناني، ثم رجع إلى العراق في عهد المأمون، فترجم خمسة وتسعين كتابا للسريانية وسبعة وثلاثين كتابا للعربية، فضلا عن تأليفه العديدة في الطب. أما ابن النديم فيمتدح حنين بن اسحق في كتابه (الفهرست) قائلا أن: «حنين بن اسحق العبادي، ويكنى أبا زيد، كان فاضلا في صناعة الطب فصبها باللغة اليونانية والسريانية والعربية. دار البلاد في جمع الكتب، ودخل بلد الروم وأكثر نقله لبني موسى».

لقد زاول حنين بن اسحق مهنة الترجمة كوظيفة يعتمد عليها في طلب عيشه، لذا أغدق عليه المأمون المال مقابل ترجمته، وجعله رئيسا على المترجمين في عهده. يقول مصطفى الشكعة في كتابه (معالم الحضارة الإسلامية) «كان حنين بن اسحق متمكنا من الفارسية واليونانية إلى جانب تمكنه من العربية، كما كان فصيحاً شاعراً، فلا غرابة إذن أن يجعله المأمون رئيساً لديوان الترجمة ويقدق عليه الأموال، وقبل أن المأمون كان يعطيه من الذهب زنة ماينقله إلى العربية، ولذلك كان يعمد إلى كتابة مايرجمه على ورق غليظ يخط كبير مع افساح ما بين الحروف حتى يحصل على أكبر قدر ممكن من المال عن كل كتاب مترجم». أما محمد عبد الرحمن مرجا فيقول في كتابه (الموجز في تاريخ العلوم عند العرب): «حنين بن اسحق من أعظم النقلة وأكثرهم شهرة. كان مسيحياً نستوريا من مدرسة جنديسابور... كان المأمون يعطيه زنة الكتاب الذي يترجمه ذهبا. لذلك كان

حين يكتب الترجمة بحروف غليظة وأسطر متفرقة على ورق غليظ جدا لتعظيم حجم الكتاب وتكبير وزنه.. وترجم كتابا لأرسطو وأفليدس وأرخميدس وأوتوليقيوس وأبسلادوس وميلاوس وجالينوس، وأصلح ترجمة الخجاج للمسحطى. وأغلب مترجمي الجيل الثاني تلقوا تدريبهم عليه أو على تلاميذه، حتى يمكن القول بأنه رائد حركة الترجمة العلمية الدقيقة.

عظم شأن أعداء حنين بن اسحق، فحصلوه على تفوقه في الترجمة وتفتته في مهنة علم الطب، ويقول خصومه انه من الثقلة وليس من أصحاب الاكتشافات العلمية. يقول عمر فروخ في كتابه (تاريخ الفكر العربى - الى أيام ابن خلدون): «وكثر حسد الناس لحنين فكان خصومه في صناعة الطب يقولون: ما لحنين والطب، انما هو ناقل لهذه الكتب ليأخذ عليها الأجر كما يأخذ الصناع الأجرة على صناعتهم، ولا فرق بينه وبينهم. وانه كالفن يصنع السيف ولا يستطيع أن يضرب به، فما له وله صناعة الطب وهو لم يحكم النظر في عللها وأمراضها، وانما قصده التشبه بنا ليقال: حنين المتطبب لا حنين الناقل».

يروى لنا أحمد شوكت الشعلى قصة شيقة عن حنين بن اسحق في كتابه (تاريخ الطب وآدابه وأعلامه) فيقول: «كان حنين بن اسحق متعطشا للعلم قرأ على يوحنا بن ماسويه»، وكان حنين صاحب سؤال ومن أبناء الصيارفة، فسأل يوحنا في بعض الأيام عن بعض ما كان يقرأه عليه فرد يوحنا وقال: ما لأهل الخيوة والطب، عليك بيع الفلوس في الطريق فخرج من دار يوحنا باكيا مكروبا، لم تؤثر فيه هذه الصدمة بل شجعتة، اذ قرر أن يشكر ويتغيب سنين، يتعلم خلالها اللغة اليونانية استعدادا لدرس الطب، بعد التقائه ثالث اللغة، اذ كان يرغب أن يثبت ماسويه خطأ قوله وبين له أن العبادى العربى يستطيع أن يتعلم الطب ثم عاد فلام جليل بن خيشوع وترجم له عدة كتب فأصلح بينه وبين يوحنا فتلمذ على يوحنا بن ماسويه للمرة الثانية وأشتغل بصناعة الطب ونقل له كتب كثيرة وبخصوصا من كتب جالينوس، بعضها الى اللغة السريانية وبعضها الى اللغة العربية.

لم يكن حنين بن اسحق مجرد مترجم لكتب الطب، بل كان كذلك طبيا حالفا رغم مايقول أعداؤه. كان مرض الرمد منتشرا آنذاك يعانى كثير من الناس منه الأمرين. فكتب حنين كتابا يحوى على عشر مقالات عن العين وطريقة علاج مرض الرمد. يقول توفيق الطويل في كتابه (العرب والعلم في عصر الاسلام الذهبى ودراسات علمية أخرى): «أما في علم الرمد فإن حنين بن اسحق كان أول من طبع العربية بطابع الأسلوب العلمى،

وكان كتابه (العشر مقالات في العين) أول كتاب موجود اصطنع في طب العين منها علميا، وزود برسوم شائقة هي أول وأدق رسوم عرفت في تشریح العين. أما راح لاندو فيذكر في كتابه (الاسلام والعرب): «أن حنين بن اسحق أول مترجم للمصنفات الطبية الاغريقية، وبخاصة مؤلفات جالينوس وأبقراط. كما وضع حنين بن اسحق كتابا في الطب ذات اصاله توحى بغيرته في هذا المضمار، فهو طبيب من الطراز الممتاز»..

أهم حنين بن اسحق بطب الأسنان، فبدأ بجمعه من شذرات ورثها من علماء بابل والمصريين واليونانيين والهنود والفرس والروم. والجدير ذكره هنا أن طب الأسنان لم يكن حينذاك فرعاً مستقلاً بذاته. ولكن حيناً أفرد لهذا الموضوع كتاباً تحت عنوان (حفظ الأسنان واستصلاحها) ترقى صفحة من هذا المخطوط المحفوظ في دار الكتب الظاهرية بدمشق كنموذج. وقد خصص بعد ذلك أبو بكر الرازي الذي يعتبر طبيب الأسنان العربي المسلم فصلاً لطب الأسنان في كتابه «الحاوي». ويظهر جلياً الآن أن أميأه العرب والمسلمين لم يهتموا بهذا الحقل ولكن لم يعطوه العناية التي أعطاها للحقول الأخرى مثل طب العين والجراحة والقلب والباطنية والنساء والأطفال.

خلف حنين بن اسحق ولدين هما داود واسحق، أهم داود بن حنين بمهنة الطب، فاشتهر فيها، أما اسحق بن حنين فقد خلف والده في فن الترجمة والتأليف، وتلقى عليه في حقل الهندسة والنبات. يقول أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلعجل في كتابه (طبقات الأطباء والحكماء): «وأنجب حنين بن اسحق ولدين داود واسحق. فأما اسحق، فخلفه على الترجمة، وتولاها فأتقنها، وأحسن فيها، وكانت نفسه أميل إلى الفلسفة. وقد ترجم كتاب النفس للفيلسوف أرسطو طاليس في سبع مقالات وجدده بنفسه شامسطينوس. وأما داود فإنه كان طبيباً. وأضاف محمد عبد الرحمن مرسياً في كتابه (الموجز في تاريخ العلوم عند العرب) قائلاً أن: «إنه اسحق بن حنين نقل كتاب الأصول لإقليدس. كما نقل أيضاً كتاب الكرة والأسطوانة لأرخميدس وكتاب الأشكال الكرية لمناؤوس وكتاب أرسطو طاليس في النبات».

عرف المأمون حنين بن اسحق عن طريق طيبة الخاص جبرائيل بن يحيى شيوخه (١) فعهد إليه بنقل الكثير من الكتب إلى اللغة العربية في شتى فروع المعرفة وهو ما زال في سن العشرين. كان حنين بن اسحق من أحسن من يجيد الترجمة في ذلك الوقت، واستعان في ذلك بالكثير من علماء العرب والمسلمين الذين كان يشرف بنفسه على مترجموه. يقول

جلال مظهر في كتابه (حضارة الاسلام والرها في الترقى العلمى): «ان المأمون أحضر من المترجمين حنين بن اسحق، وكان فنى السن، وأمره بنقل مايقدر عليه من كتب اليونانيين الى العربية، واصلاح ماينقله غيباً، فأتمتلى حنين أموره. وكان المأمون يعطيه من الذهب رتبة ماينقله من الكتب الى العربية مثلاً بمثل. وكان نقل حنين أميناً وأسلوبه بليهاً.

لقد اتخذ حنين بن اسحق مهنة الترجمة مصدراً لدخله، لذا نجد أنه نال شهرة عظيمة في هذا الحقل. ولما لا يقل الجدل أن حنين بن اسحق أعاد الحضارة العربية والإسلامية بتفرغه لترجمة العلوم المختلفة. كان لحنين بن اسحق منهج دقيق في الترجمة يتلخص فيما يلي:

- (١) يجمع عدة مخطوطات للكتاب الذى يريد ترجمته، يوزن بينها، ثم يشرع في الترجمة.
- (٢) يتعاون في ترجمته مع كثير من المساعدين، لذا نجد أن ترجمته تمتاز بدقتها المتناهية وصحتها من الناحية اللغوية.
- (٣) سيطر على موضوع الترجمة وفتحها بعد خبرته الطويلة الناجمة عن مراجعته لترجمات الآخرين والتعديلات التى كان يدخلها عليها.
- (٤) لم يتقيد بالنص، بل يحافظ على المعنى، لذا نجد أن ترجماته تمتاز بالبساطة والسلاسة.

يقول ماكس مايرهوف في كتاب (تراث الاسلام) تأليف جبهة من المستشرقين: «كذلك ما زالت توجد لحنين بن اسحق ترجمات كتبت بمخطوطة في مكتبات عديدة كالمسقطيين، هذه المخطوطات تكشف عن حمية في تصريف الترجمة ومقدرة عجيبة للمترجم في اللغة العربية، أما أسلوبها فسهل المتناول حال من التعقيد اذا ما قورن بأصله اليونانى الركيك».

قدم حنين بن اسحق معظم الناجية في مجال ترجمة كتب الطب وتأليفها أيام المأمون، لأن المعصم لم يكن له اهتمام المأمون وتحسنه لترجمة المؤلفات العلمية الى اللغة العربية. وأعاد المتوكل (٨٤٧ - ٨٦١ ميلادية) دور بيت الحكمة الذى كان مزدهراً في عصر الخليفة المأمون.

فأستأنف حنين بن اسحق نشاطه في الترجمة والتأليف ليس في حقل الطب فقط، بل في معظم فروع المعرفة، مستعينا بنسخة من كبار علماء العرب والمسلمين. بالإضافة الى ابنه اسحق بن حنين وابن اخته حيش بن الأعسم^(١٠)، وخدم حنين ابن اسحق ورفاقه مهنة الطب عمرا طويلا، احتوى أيام المتصر بالله، والمستعين بالله، والمعز بالله، والمهتدي بالله، والمعتمد على الله. يذكر لوي برنارد في كتابه (العرب في التاريخ) أن: «آل حنين الشأوا بترجمتهم لكثير من العلوم صرحا شاعرا للحضارة العربية والإسلامية في كافة المجالات من علوم بحتة وتطبيقية وإنسانية. وحقيقة الأمر أن ترجمتهم تكاد تكون ملحقات لكتب اليونان والسريان والكلدان وغيرهم».

ومن مناقب خلفاء وأمرأ العرب التي يجدر بنا أن نذكرها هنا هو لتأليفهم على أجنذاب علماء العلوم، كما كانوا يبيتون لهم أفضل الظروف وأحسنها للبحث العلمي والترجمة والتأليف. واستفاد كثير من علماء العرب والمسلمين من هذا التشجيع الرسمى من أجل مسؤول في الدولة فأقموا دولة الأمر بفتح المدارس والجامعات والمكتبات، مما عاد بالنفع على الأمة الإسلامية جمعاء. ويقول عز الدين فراج في كتابه (فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية) بقوله: «كان من أعظم مفاخر الخلفاء والأمراء أن يقدم بلاطهم أهل العلم ورجال الفكر، وأن يقدموا عليهم في سخاء. ومن دلالات هذه القاهرة أن كان حنين بن اسحق شيخ المشرحين - يتقاضى من المأمون وزن الكتب التي يترجمها ذهباً، وكان - من فرط جشعه - يكتب على ورق سميك ثقیل الوزن، ويكثر الحروف ويوسع ما بين الأسطر حتى تعظم مكافأته من الذهب. ومن ذلك أن السلطان مسعود الغزنوي قد أرسل الى البيروني ثلاثة جمال تنوء بأحماها من الفضة، مكافأة له على كتابه (القانون المسعودي) وان كان البيروني قد رد الهدية الى صاحبها معتذرا عن قبولها بقوله (انما يقدم العلم للعلم وليس للمال)».

وهنا نرى الفرق الواسع بين عالم وعالم: عالم يجرى وراء المال كحنين بن اسحق، وآخر يقدم العلم للعلم كالبيروني.

ولم يكن حنين بن اسحق متقنا للغتين العربية واليونانية فقط، بل كان يجيد كذلك اللغتين السريانية والفارسية. كان أدبيا بلزعا يقرض الشعر، وله قصائد تليق بمقامها. يقول عمر رضا كحالة في كتابه (العلوم العملية في العصور الوسطى): «ومن الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني الى اللسان العربي حنين بن اسحق العبادي. وكان

بأربعاً باللغات الأربع العربية والسريانية واليونانية والفارسية، ونقله في غاية من الجودة. وكان
حنين بن اسحق فصيحا لساناً بأربعاً شاعراً، وأقام مدة في البصرة، وكان شيعه في العربية
الخليل بن أحمد الفراهيدي، لم بعد ذلك انتقل الى بغداد واشتغل بصناعة الطب.

كان حنين حجة عصره في فن الترجمة، حتى أن كثيراً من معاصريه نهفوا على
الأشراك معه ليدفع صيتهم. وهناك صنف آخر من المترجمين الذين نسبوا انتاجهم اليه
ليتمكنوا من ترويح انتاجهم. يقول جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي في
كتابه (تاريخ الحكماء): «وكان حنين بن اسحق جليلاً في ترجمته، وهو الذي أوضح
معاني كتب بقراط وجالينوس وخصها أحسن تلخيص وكشف ما أستغلق منها وله
مؤلفات نافعة، أما عسر فروخ فيحاول في كتابه (تاريخ العلوم عند العرب) أن يمدح
حنين بن اسحق بقوله: «لحنين كتب متنوعة بعضها نقل عن اليونانية وبعضها اصلاح
لنقول سابقة، وأكثر كتبه على طريقة المسألة والجواب». ويقول نور حسين شويري في
مقالة ألقاها في المؤتمر العالمي الأول عن الطب الاسلامي الذي عقد في دولة الكويت تحت
عنوان «أثر العلوم الاسلامية في تطور الطب»:

«وقد بلغ تفوق الصنعة عند حنين مبلغاً من الاعتبار جعل الكثير من المترجمين الأقل شأناً
يتسبون انتاجهم لهذا المعلم العظيم. وقد أدت مؤلفاته الشهيرة في الطب الى اكتشافات
عديدة، كما أن الأوربيين قد استفادوا الكثير من ترجماته فيما بعد. وكان أشهر مؤلفاته
العظيمة في أوساط العرب والفرس هو كتاب (اسئلة في الطب) وكذلك الكتاب الضخم
«عشرة مقالات في العين» الذي يعد أقدم بحث منهجي معروف في طب العين».

وقبل تقديم قائمة الكتب التي ترجمها أو ألفها حنين بن اسحق نورد هنا مذكوره جهره
من المؤلفين في كتاب (الموجز في تاريخ الطب عند العرب) بقولهم: «فقد ترجم حنين بن
اسحق الى السريانية خمسة وتسعين كتاباً، وترجم الى العربية منها تسعة وثلاثين، وكان
يراجع ترجمة تلاميذه، فأصلح ستة كتب مما نقل الى السريانية ولحق سبعين كتاباً الى
العربية، كما راجع وأصلح معظم الخمسين كتاباً التي كان قد ترجمها الى السريانية بعض
الأطباء الأقدمين، كما نقل عدداً من كتب أنقراط مثل كتاب (الفصول) مع تفسير
جالينوس عليه والمترجم الى السريانية والعربية، وكتاب (الكسر) وكتاب (الخلع) وتقديم
المعرفة وتدير الأمراض الحادة، وكتاب في القروح، وكتاب جراحات الرأس، وكتاب
الأمهيدما، وكتاب الأمراض الوافدة، وكتاب في الأخلاط، وكتاب (الأهوية والمياه والبلدان)،

وكتاب الغداء، وكتاب طبعة الامسان، وكتاب (الكنايش لأوروباسيوس)، وكتاب (أنايبوس)، وكتاب (البيع المقالات)، والمادة الطبيعية لديسقوريدس، وكلها كتب ضخمة، وذلك بالإضافة إلى الكتب الفلسفية لأرسطو وأفلاطون.

وقد ذكر ابن أبي أصيبعة في كتابه (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) كثيرا من التفاصيل عن الكتب التي ترجمها أو ألفها حنين بن اسحق ونحضر على سبيل المثال كتاب العشر مقالات في العين الذي يحتوي على الآتي:

- المقالة الأولى عن طبعة العين وتركيبها.
- المقالة الثانية عن طبعة الدماغ ومنافعها.
- المقالة الثالثة عن عصب البصر.
- المقالة الرابعة عن حفظ الصحة واختلافها.
- المقالة الخامسة عن أسباب الأعراض الكثيرة في العين.
- المقالة السادسة عن علامات أمراض العين.
- المقالة السابعة عن الأدوية العامة.
- المقالة الثامنة عن أجناس أدوية العين.
- المقالة التاسعة عن مداواة أمراض العين.
- المقالة العاشرة عن الأدوية المركبة الموافقة لعزل العين.

وللذكر الآن الكتب التي ترجمها وألفها حنين بن اسحق، وهي تزيد على مائة كتاب، وقد وردت أسمائها في معظم الكتب التي تحدثت عن مؤلفات حنين بن اسحق، وأهم هذه الكتب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لأن أبي أصيبعة. وهي:

- (١) كتاب المسائل في الطب.
- (٢) كتاب في العين على طريقة السؤال والجواب.
- (٣) كتاب في تركيب العين.
- (٤) كتاب في الأدوية المفردة (اختصار لكتاب جالينوس).
- (٥) كتاب في النحو.
- (٦) كتاب في ادراك حقيقة الأدوية.
- (٧) كتاب العشر مقالات في العين.

- (٨) رسالة نقدية في الترجمة.
- (٩) كتاب في الزمد.
- (١٠) كتاب الشرائق.
- (١١) كتاب في أن الطبيب القاطل يجب أن يكون فيلسوفاً.
- (١٢) كتاب في النطق.
- (١٣) كتاب في الحميات.
- (١٤) كتاب في أوجاع المعدة.
- (١٥) شرح الاسكندر الأفروديسي على كتاب الطبيعة لأرسطو.
- (١٦) جوامع كلام أرسطو في الآثار العلوية.
- (١٧) كتاب أصول الهندسة لأقليدس.
- (١٨) كتاب المناظر (المعبريات) لأقليدس.
- (١٩) كتاب قطوع المخروط للمناظير.
- (٢٠) كتاب قطع المخروط لأبولونيوس.
- (٢١) كتاب قطوع المخروط لثيودوسيوس.
- (٢٢) شرح كتاب الغذاء لأبقراط.
- (٢٣) مقالة في تدبير الشاقهين.
- (٢٤) كتاب في الشفق.
- (٢٥) كتاب حفظ الأسماك.
- (٢٦) جوامع كتاب جالينوس في الدواء.
- (٢٧) كتاب السماء والعالم.
- (٢٨) كتاب فيما يقرأ قبل كتب الفلاسفة.
- (٢٩) كتاب نوادر الفلاسفة والحكماء.
- (٣٠) كتاب قاطيغورياس.
- (٣١) مقالة في اعتداله لجالينوس.
- (٣٢) جوامع كتاب جالينوس.
- (٣٣) جوامع كتاب جالينوس في الحث على تعلم الطب.
- (٣٤) نثر تفسير جالينوس لكتاب أبقراط.
- (٣٥) شرح كتاب الهواء والماء والمساكن لأبقراط.
- (٣٦) كتاب في امتحان الأطباء.
- (٣٧) مقالة في المد والجزر.

(٣٨) كتاب في أسرار الأدوية المركبة.

(٣٩) تفسير كتاب حفظ الصحة لروفس.

(٤٠) مقالة في تولد الحصاة.

وفي اختتام يمكن القول بأن علماء العرب والمسلمين وعلى رأسهم حنين بن اسحق ترجموا كل انتاج علماء اليونان، الذين هم بدورهم استلوا بعفته من الحضارات السابقة لهم. وقد ذكر حنين بن اسحق ورفاقه في بادئ الأمر على ترجمة العلوم الطبية والرياضية والفلكية والزراعية لكل من أبولونيوس، وأقليدس، وأرخميدس، وتيودوسيوس، ومسالوس، وليقومياخس، وهارون، وديوفانتوس، وهيرخوس، وأريسترخس، وبطليموس، وأبوقراط، وثاؤن، وديسقوريدس، وجالينوس، ورفوس، والأفيسس، وبولس الأثينى، وأونياسوس.

والخبر بالذكر أن علماء العرب والمسلمين لم يكتفوا بنقل علوم اليونان الى العربية، بل نقلوا كذلك كثيرا من انتاج اليهود والفرس وغيرهم من الأمم. كما أن خلفاء بني أمية شجعوا المدارس السريانية المنتشرة في العراق والشام التي كانت موجودة قبل الفتح الاسلامي وتركوها تسير على منهجها العلمي التي اختارتها لنفسها. وقد حصل المسيحيون واليهود على حرية في الفكر لم يكونوا مستعنين بها تحت الحكم البيزنطي، الكثير منهم وزراء وأطباء وأصحاب صناعات. ومع هذا كله نجد أن علماء النصارى لم يقبلوا على ترجمة تراث اليونان من تلقاء أنفسهم، بل لقد كانوا في أكثر الأحيان يصلون بأمر الخليفة، الذي كان يشجعهم على عملهم بالمال الكثير. ويؤكد ذلك قول محمد عبد الرحمن مرجيا في كتابه (الموجز في تاريخ العلوم عند العرب): «وعلى الجملة لم ينتكر السريان شيئا من عدد أنفسهم، وكل ما لا كروه فهو مأخوذ من الكتب اليونانية التي اختصروها أو شرحوها ونقلوها، وكان يندر أن يقبل أحد منهم على الترجمة من تلقاء نفسه، بل لقد كان في أكثر الأحيان يعمل بأمر خليفة أو أمير أو وزير أو أحد من أصحاب المال والنفوذ. وقد قاموا بترجمتهم تكسبا للمال، لا حبا للعلم، فهم مترجمون محترفون ونقله مأجورين».

أثمه علماء العرب والمسلمين الى الترجمة والتأليف، وذلك ناتج عن تشجيع المأمون، الذي كان يتصف بالنبل والسخاء، فكان يبذل جهدا كبيرا لأتباع الناس بقراءة ما يترجم وتعليمه، حتى أنه قيل أن حنين بن اسحق وأصحابه في الترجمة عندما كانوا يشهدون من ترجمة كتاب كانوا يضعونه في بيت الحكمة، فتبدأ في الأسبوع الأول الملاحظات والتعليق عليه من طرف كبار علماء العرب والمسلمين. ويمتدح عز الدين فراج في كتابه (فضل

علماء المسلمين على الخصاصة (الأورية) كلا من هارون الرشيد وأبنة المأمون بما قدماه من تشجيع للعلم بقوله: أما سياسة المأمون الحكيمية وتشجيعه الزائد نبغ العلماء والكتاب المسلمين، في عصره وعصر أبيه، ومن هم مقبرة العالم الإسلامي ومقدموه من كتبهم وأبحاثهم. وفل المأمون ينهض بأمرته، ويعمل على رفعة شأنها، وينشر العلم في أبحاثها، حتى وصل بها إلى أقصى الغايات، وأحلها أعلى مكان.

كان حنين بن اسحق في سن السابعة عشرة من عمره عندما أهاله استاذ الحيل في الطب يوحنا بن ماسويه وأتبعه بالقصور وعلم قدرته على استيعاب العلوم الطبية فلم يقل هذا النقد الجازح من أستاذ من عرج حنين بن اسحق، ولم يؤثر في روحه الولادة، بل على العكس كان كلام يوحنا بن ماسويه هو المحرك الرئيسي الذي دفع حنينا إلى السفر إلى بلاد الروم والأسكندرية لتعلم اللغة اليونانية وغيرها من اللغات الحية حينذاك. وعندما عاد من رحلته العلمية لم يسعه إلا أن يتعلم على شيخ الأطباء في عصره يوحنا بن ماسويه. أما في اللغة العربية فقد تتلمذ حنين بن اسحق على الحليل بن أحمد الفراهيدي، استاذ سيبويه والأصمعي، فطى اللغة العربية. ان تضوج حنين بن اسحق العقل هو السبب الوحيد الذي جعله رئيس المترجمين في بيت الحكمة.

نعم كان حنين بن اسحق يطلب أجورا باهظة على ما يترجمه من كتب، حتى أن الخليفة المأمون كان يدفع له زنة ما يترجم ذهبا، وهذا ان دل على شيء فأنما يدل على عظمة المأمون واحترامه للعلم، حتى كان يتقاضى عما كان يعلمه حنين بن اسحق من استعمال الوري ذي الوزن الثقيل، ومن تكبير الحروف، ومن جعل فراغات كبيرة بين الأسطر، كي يحصل على مكافأة أكثر. وهذا ولا شك جشع لا يليق بعالم، ولقد أضر بحنين ابن اسحق كثيرا، حتى أن بعض المؤرخين يعتبرونه ناجرا عتقا، وليس عالما، فالصفة الحميدة التي يجب أن يتصف بها العالم هي أن يعمل للعلم، وليس للمادة. وبالمقارنة نرى أبا الریحان البيروني عندما أرسل له السلطان مسعود الغزنوي ثلاثة جمال محملة بالفضة مكافأة له على الموسوعة التي كتبها تحت عنوان «القانون المسعودي» نراه يردّها إليه قائلا: «انما يتقدم العلم للعلم وليس للمال». والأمثلة كثيرة على ذلك، لأن علماء المسلمين اشتروا بنزاهتهم وتفرغهم للعلم وليس للمادة، وهذه حقيقة واضحة وجلية بينهم، ولا تحتاج إلى تقديم أمثلة، لكن ذلك لا يعني احتقار العلماء وأكل حقوقهم، والتضييق عليهم في العيش، وفي المال الضروري لأبحاثهم، ونشر أنتاجهم.

المصادر والمراجع

- (١) أحمد شوكت الشطبي، تاريخ الطب وآدابه وأعلامه.
- (٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء.
- (٣) ابن النديم، الفهرست.
- (٤) ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء.
- (٥) توفيق الطويل، العرب والعلم في عصر الإسلام الذهبي ودراسات علمية أخرى.
- (٦) جلال مظهر، حضارة الإسلام وأثرها في الترقى العلمي.
- (٧) جمال الدين أبو الحسن، تاريخ الحكماء.
- (٨) جبهة من المؤلفين، الموجز في تاريخ الطب عن العرب.
- (٩) رام لاندو، الإسلام والعرب.
- (١٠) عبد المعصم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى.
- (١١) عز الدين فراخ، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية.
- (١٢) عمر رضا كحالة، العلوم العملية في العصور الوسطى.
- (١٣) عمر فروخ، تاريخ الفكر العربى الى أيام ابن خلدون.
- تاريخ العلوم عند العرب.
- (١٤) لوى برنارد، العرب في التاريخ.
- (١٥) ماكس مايرهوف، تراث الإسلام.
- (١٦) محمد عبد الرحمن مرج، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب.
- (١٧) مصطفى الشكعة، معالم الحضارة الإسلامية.
- (١٨) طهر الدين البيهقي، تاريخ حكماء الإسلام.

- (١) المادى: يقال من بطون العرب، استسما والقبائل من الناس في قصور النبوة لأحسبهم بالحق وإنهوا بنى الصغرية.
- (٢) الخليل بن أحمد القرامطى الحوزى والقرى، أصله من عمان، نشأ عليه سببه والأصمى وعمرها من أمة النقة العربية وه واضح علم العروض، تولى في السنة سنة ١٧١ هجرية (٧٧٨ ميلادية).
- (٣) بوحد بن ماسويه تعزى إلى لغة من كبار أطباء مدرسة جنديسابور، عاش فيما بين ١٩٠-٢٤٣ هجرية والتوفى ٨٥٧-٨٥٩ ميلادية. كان طبيا ذكيا مشهورا في حقل الطب. هناك قصة لطيفة ورويت في كتاب التوجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، لجمهورية من العرب نصها: «أن قيس الكلبى الشيكى اليه مرضا في معدته، فقال له: استعمل كذا قال قد فعلت فوصف بوحد أنه دواء آخر قال: أكلت منه أرطالا، فوصف لانا فقال القيس شربت منه حبة. فقال له بوحد أن أدوت أن نرى فأسلم قال الإسلام يعالج المعده. كان فيها من الحفلاء والمثوك، نشأ عليه من أطباء عصب. له مؤلفات كتبت منها كتابات الفهم والكيمياء وكتاب الحبيبات، وكتاب

الأغذية وكتاب الصيد والخواص وكتاب الأدوية المسجلة وكتاب علاج النساء وكتاب الشرح وكتاب جامع الطب وضعه الرشيد أسما على ترجمة الكتب الطبية وعدم يوحنا بن ماسويه كلا من الرشيد والأخون وأنشأوا ومن جاء بعدهم من خلفاء بني العباس إلى أيام المماليك.

(١) جواز بن الخشوع أن من أسيا نصرانية غدا مكانها في حقل الطبيب فكان من أشهرهم، وضعه الرشيد رئيس جميع الأطباء لما عهد أن له مكانة مرموقة عند خلفاء بني العباس. كان طبيا للأخون وأنشأوا، ومات سنة ٢١٤ هجرية (٨٢٩ ميلادية) وذلك خلال خلافة الأخون. ورد في كتاب والنوهر في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب (مجموعه من العرب مائة) فلو كان من تقاليد الهند الطبية منذ نشأتها لوارث هذه الهند أبا عن جد، مثلها مثل كثير من النهر والهنداعات، ولقد استمر هذا التقليد خلال عصور الطب العربي المختلفة حيث استمرت بعض الأكر بتوارث هذا الطب، ولعل أشهر هؤلاء أسيا الخشوع التي مارست الطب في ظل الدولة الإسلامية أحيالا متعاقبة أثناء الخلافة العباسية، ومنهم أيضا أسيا أن زهر التي توارث الطب في الأندلس.

(٢) حريش بن الأحمس من كبار المترجمين، تلقن بالترجمة على يد جده حزين بن اسحق عازق في أيام المماليك وبعد من علماء الطب في القرن التاسع الهجري. وله مؤلفات كثيرة منها كتاب الأدوية المفردة وكتاب الأغذية وكتاب في الاستسقاء وكتاب بساتين مسلك حزين في لغته وفي كلامه وفي أصوله وكتاب الهند لطرقا، وكتاب النواكه الخانوس. وله أقوال مكتوبة منها: الكتب رأس كل طب، من ترك الحقله ترك معالي الأمور، قد يكون القلب بعيدا بعدائه والبعيد قريبا لبعده.